A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

مكتبة الاخلاقيات الدينية

السلسلة الثانية

الكتاب الرابع عشر

اصل الدين

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان.

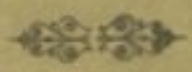

ترجم عن الانكليزية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٣٤

مكتبة الاخلاقيات الدينية

السلسلة الثانية

CA
240
L72mbA
c.1

الكتاب الرابع عشر

اصل الدين

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان

ترجم عن الانكليزية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٣٤

LAS-17466

اصل الدين

الدين ظاهرة عامة وكل امة في التاريخ لها دينها والعبادة والصلاة اظهر المبادىء الطبيعية في حياة الناس والصلاة عندهم لازمة كالاكل والشرب وقد وجدوا فيها اكتفاء وافتناعاً داخليين كما ان الدين سد حاجة هامة في حياتهم افرادًا وجماعات ولكن هذه المسألة كغيرها عن المسائل اصبحت موضوعاً للبحث في عصرنا هذا فتعددت فيها النظريات والمذاهب فقال بعضهم بعدم حاجة الانسان الى الدين وذهب آخرون الى ابعد من ذلك فقالوا بان الدين وهم في اصله ولا حاجة للناس بهِ وانهُ ضار ويجب ان ينسخ من حياة الافراد والمجتمع ولما كان للموضوع علاقة بحياة كل انسان فهو جدير بالاهتمام ولذلك رأينا ان نعالج بعض تلك النظريات المهمة المتعلقة باصل الدين

ترمي بعض النظريات الى ان الخوف اصل الدين

وان تدين الناس ناتج عن الخوف اذ ان الانسان الفطري هالتهُ قوات الطبيعة كالزوابع والرعد والبرق والنار والزلازل فتخيل لنفسهِ قوة اعظم وحاول ان يجد لهُ ملجأً فيها فكان هذا التخيل اصل الدين وتسرب هذا الاعتقاد من جيل الى جيل واصبح عنصراً لازماً في حياة الانسان وهكذا اصبح الخوف اساس الدين

ان هذه النظرية تستهوي النفوس ولكنها غير مقنعة نعم لقد كان الخوف ذا تأثير عظيم في حياة الناس الفطريين ولم يستطع الانسان حتى اليوم ان يتحرر منهُ واذا كان الخوف اصل الدين في القديم فما هو عذر الناس اليوم وقد تقدموا في المعرفة وفهموا حقايق الطبيعة وظواهرها افما كانوا يتخلون عنهُ ؟ اننا نرى الحالة غير ذلك فان الناس قد حرروا نفوسهم من الخرافات وظلوا متمسكين بالدين وما وجود جماهير المتدينين بين ارقى شعوب العالم الّا برهان على صحة ما نقول وليس من الصواب ان نقول ان ديانة هؤلاء ناتجة عن الخوف والوهم نعم ان الخوف والخرافات

قد اثرا في الدين ولكن الاختبار الديني لا يمكن ان يعلل بهما

من راي بعضهم ان الدين فكرة صبيانية وهو مظهر يعود في اصله الى زمن طفولة الحياة البشرية فالولد حينما يشعر بضعفه وحاجته الى المساعدة يرمي نفسهُ بين ذراعي والده ليحتمي ومثله الشعوب الضعيفة التي عجزت عن مجابهة صعاب الحياة فابتدعوا لانفسهم "الهًا ابًا" واجتهدوا ليجدوا في الالتجاء اليهِ امنًا وسلامًا وهكذا فان الشعور الديني في قلب الانسان وفكرة الانسان بالله وكل ما يتعلق بالدين تصورات صبيانية وتخيلات باطلة لا ظل لها من الحقيقة

قد تكون هذه النظرية جذابة لاول وهلة لان في معتقدات كثير من الشعوب بعض الامور الصبيانية ولكن الاختبارات الدينية لا تمت في اصلها الى الامور الصبيانية ولو كان الامر كذلك لنبذ الناس الدين وحرروا انفسهم منهُ لانهم بلغوا سن الادراك . وعدا عن ذلك فانهُ بحسب هذه النظرية لا بد ان يكون المتدينون من ذوي الاخلاق الضعيفة في حين ان هؤلاء الناس في نضوجهم

قد اطرحوا سخافات الطفولة في الدين وازدادوا ثباتاً في حياتهم الدينية فضلاً عن ان اولئك الراسخين في الحياة الدينية كانوا مثالاً اعظم في الشجاعة واستخفوا بالمصائب والاخطار فليس من العدل ان يوسم بالجبانة اناس كهولاء ثبتوا في الصعاب وانتقلوا من دور الطفولة اذاً ليس الدين في اصله شعوراً صبيانياً كما يزعمون

ويعتقد بعضهم ان الدين في الاصل عادات اجتماعية وان الطقوس والشرائع ليست سوى عادات المجتمع البشري ويقولون ان الدين نتيجة اجتماعية والانسان المتدين لا يعبد الله بل يعبد المجتمع ويطيع شرائع الجماعة كوصايا من الله وما الوصايا والمعتقدات الدينية الا عادات اجتماعية صرفة والانسان اي المجتمع الانساني قاعدة الدين وليس الله

والذين يقولون بهذه النظرية قد تفحصوا فرائض الشعوب الفطرية وعاداتها وهم يدعون ان الطقوس باسرها والعادات جميعها اجتماعية وان كل امر ونهي في ديانات اولئك الشعوب قوانين سنتها قبائلهم ويمضي الوقت

تسربت هذه الفرائض والعادات الى العالم المتمدن فاتُخذت فيهِ دينًا فليس الدين اذًا غير عادات اجتماعية والدين معناه المجتمع

وقد استلفتت هذه النظرية الانتباه ولا سيما في الازمنة المتأخرة وولدت الشكوك في عقول كثيرين بصحة الاديان . من المعلوم ان اصل كثير من الفرائض والعادات الدينية اجتماعي ولابد ان كثيرًا من الطقوس الاولية قد يكون اصله عادات اجتماعية ونرى مثل ذلك في ديانات الشعوب المتمدنة ولكن لا يمكن ان يكون هذا اصل الاختبار الديني حتى لدى القبائل الفطرية بل لا بد ان هنالك قوة اسمى من قوة القبيلة وان وراء تلك المعتقدات اصلاً سريًا لا يمكن ان يكون مرجعهُ المحيط . وفي الدين عنصر شخصي خاص . يقوم بعض الاحيان في الامة شخص فيقلب العادات والمعتقدات المتوارثة منذ اجيال عديدة ويحدث انقلابًا عظيماً في معتقدات الناس فلو كان الدين في الاصل ملك احدى القبائل او الجماعات لكان من المستحيل نشوء

حركات كهذه . ان المبدأ الشخصي في الدين ليس اقل شأنًا من العنصر الاجتماعي وكما ان في الدين عنصرًا خارجيًا ففيهِ عنصر داخلي وهو الذي نحسبه اصله والدين في اصله ليس نتيجة اجتماعية . ومع ان ظواهره اجتماعية فجوهره داخلي وشخصي

والخطأ في هذه النظريات قولها بان الدين كامل في الاصل دون ما نظر الى تقدمهِ وارتقائهِ . الدين شعور داخلي كالشعور الموسيقي يبداء في حياة الانسان بصورة بسيطة فيتهذب ويترقى مع الايام الى ان يبلغ اخيرًا الى مستوى عالٍ فلا يجدر بنا ان نقول ان الموسيقى تافهة لان موسيقى الشعوب الفطرية غير راقية ومثل ذلك الدين فلا يمكننا ان نحكم عليهِ من مجرد النظر الى عناصر المعتقدات الاولية ونستنتج منها ان كل الشواعر والافكار الدينية عقيمة بل يجب ان ندرك ان وراء هذه المظاهر الفطرية حقيقة اساسية وهذا يظهر لنا بوضوح اذا راجعنا باختصار نشوء الديانة

عجب الناس في بدء جاهليتهم بالطبيعة باتساع الجلد وعظمة الجبال وشعروا ان وراءها قوة خفية ولكنهم لم يدركوا سر تلك القوة فوضعوا الفرائض لعبادتها وبعد زمن تخيلوا لهذه القوة هيئة مادية فعبدوا اشياء اعتبروها مقدسة كالجبال والصخور والاشجار الضخمة والحيوانات والشمس والنجوم فعبدوها ايضاً واننا لنضحك اليوم من هذه المعتقدات ونعدها خرافات عصور الجهالة ولكن الناس في عملهم هذا كانوا يسعون للوصول الى الله وقد جربوا ان يجدوه في الصخور والجبال ولا بد ان هذه الرغبة في طلب الله كانت خطوة الى الامام قادتهم الى العدول عن طلب الله في الاشياء المادية الى طلبه في المملكة الروحية مملكة الحق والجمال والصلاح كما يتضح ذلك في مصنفات افلاطون الفيلسوف اليوناني اذ اصبح الصلاح والحق والجمال موضوع عبادة الانسان وكان ذلك خطوة الى الامام في تاريخ الدين الاّ ان الانسان لم يقف هناك بل رغب في التقدم . لقد كانت افكاره بالصلاح والجمال والحق حسنة

ولكنها اشياء معنوية فلم تشبع رغباته ولا اطمأن اليها ضميره لان فيهِ شخصية والشخصية هي التي تجعل هذه الاشياء ذات قيمة اذ ان اهم ما في الانسان شخصيته لا افكاره

وهكذا تقدم الانسان خطوة اخرى فادرك ان الله ذاتية شخصية وليس قوة سرية او شيئًا ماديًا كالجبال والصخور او فكرة مجردة بل هو ذو شخصية لها صلة بالناس وبهذا ظهرت الديانة بابهى معانيها اذ اصبحت صلة وصداقة بين الله والناس وهنا وجد ضمير الانسان راحته وتلاشت كل مخاوفه فليس من الصواب والحالة هذه ان ننظر فقط الى الهيئة الاولية فنقول ان الدين لا معنى لهُ وانهُ فكرة صبيانية او نتيجة الخوف كما انهُ ليس من الصواب ان نرمي بزرة سوداء لانها تلوح لنا انها عادمة الحياة. ان البزرة تقاس بالزهور الجميلة التي تنبتها مع الايام ومثلها الدين. ليس كل ما اصله عادم النفع محتقرًا او عاديًا بل يجب ان ينظر الى نتائجه لتدرك ماهيته . ان في اصل الدين اختبارات بسيطة وعادية ولكن فيهِ صفة النمو التي من شأنها ان تزين الحياة

البشرية والنظريات المضادة للدين مخطئة في حكمها لانها لا تنظر بعين الاعتبار الى هذا الامر

ولكن هل الدين ضروري وطبيعي في الحياة البشرية ؟

ان اعظم البراهين على ان الدين ضروري وطبيعي في الانسان هو اختبار الانسان نفسه فان معرفة الله والاقتراب منهُ تعالى يولد في الانسان سروراً وارتياحاً داخليين ويجعل حياة الانسان طبيعية واكثر قوة وجمالاً والرجل المتدين يحصل على سلام القلب ويظهر طمانينة واحتمالاً وصبراً على المكاره ويتصرف بتؤدة في كل الاحوال . ان الحياة ملآنة بالصعاب ونحن في حاجة الى السلام فلو حصلنا على كل ما نتوق الى الحصول عليهِ ولو ملكنا غنى سليمان وقوته فلا منجاة لنا من الموت

ان الطريق الى النصرة في الحياة لا تقوم بالهرب من الحياة كالنساك بل في مجابهة الصعوبات بروح مطمئنة هادئة وليس غير الدين ينيلنا هذه القوة ويشدد نفوسنا ان الدين لا يهيئ لنا ملجأ نكون فيهِ في مأمن من الرزايا

ولكنهُ يمدنا بالقوة للحصول على راحة الفكر وسلام القلب عند اشتداد عواصف الحياة واحزانها

الرجل الواثق بالله لا يتذمر من الحياة بل يتعلم الرضى والقناعة ويعمل بمحبة لاجل الاخرين فيحب الهَهُ واخوانه في البشرية يذهب في الصباح الى عمله وقلبه يفيض بالمحبة ويعود في المساء الى بيته مسروراً مقتنعاً . ولا يسع الغنى والمعرفة والمركز العالي في الحياة ان تهيِّء هذا للانسان ولا يتيسر لهُ ذلك الاَّ بالايمان بالله فهو الذي يعطيهِ القوة . الدين معناه المحبة والمحبة طبيعية واصلية في حياة الانسان والانسان دون محبة ليس انساناً كاملاً اذ ان الحياة تجد كمالاً في المحبة واعظم شيء في الحياة المحبة

قلنا ان الدين هو محبة الله والناس وهـذا الشعور ليس حدثاً اخترعته مخيلة الانسان بل هو طبيعي وجوهري واصله من الله والله هكذا خلق الانسان . ان في الانسان اشتياقاً الى الله وقلب الانسان متعطش اليهِ ويرغب في

الاقتراب منهُ وهو يريد ان يحب ويُحب والله نفسه اعظم صديق للانسان وقد خلقهُ على صورتهِ . الله محبة وفي الانسان شرارة من محبتهِ الالهية . والدين ينبثق من اتحاد مركزَي المحبة . الله يحب الانسان والانسان يحب الله والدين هو الصداقة بين الله والانسان والحصول على هذه الصداقة يولد في الحياة لمعانًا وقوة فاذا خلا الانسان منها فالحياة ناقصة وتعيسة

ومما يدلنا على ان الدين طبيعي في الانسان الخدمة التي قام الانسان بها في سبيل تقدم العلم . ان في الناس من يضعون اهمية كبرى على الامور الاولية في الدين وعلى الاغلاط المرتكبة باسم الدين فيتوهمون ان الدين عدو النجاح والتقدم . لا نكيران هنالك نقاطًا صحيحة فان كثيرًا من المظالم ارتكبت باسم الدين ولكن هذه ليست في طبيعة الدين بل هي نتائج سوء فهم حقيقة الدين . يرينا التاريخ ان الدين قد خدم التقدم البشري بطرق عديدة فعالة . ولنأخذ مثلاً الفنون الجميلة فان تلك المفاخر العظيمة في الهندسة

والالحان الموسيقية الساحرة وآثار الفنانين العظام من صور وتماثيل لرافائيل وميشال انجلو وغيرهما ومصنفات الاداب العالمية الكلاسيك والقصائد الخالدة كلها استمدت قوتها وحماستها من الشعور الديني كما وان الدين كان العامل الاكبر في انتاج الآثار الخالدة كتاج محل في الهند وقصر الحمراء في اسبانيا والبارثنون في اثينا وجامع اجيا صوفيا في اسطنبول وابنية اخرى عظيمة كلها اوحى بها الشعور الديني

وعدا هذا فقد ادى الدين خدمات عظمى للبشرية في الادب والاجتماع من مثل الغاء الرق وانشاء المستشفيات والمياتم وتهذيب المراة والاولاد وسن نظم جديدة لتحسين حالة العمال وحماية الفقير ونشوء الحركات الرامية الى منع الحروب وتوطيد السلم وبطرق اخرى متعددة وكلها تؤول للنجاح والتقدم الاجتماعي كما ان الدين قد كان ذا تأثير عظيم على الطبيعة البشرية

لقد علم الدين الانسان قيمة الحياة واظهر قدسيتها

باقراره بوحدة الله وتعليمه ان الناس اولاد الله . ان الحياة ثمينة لانها من الله والانسان لا يقدر ان يخلق عصفورًا واحدًا وحياة الانسان هي اثمن واقدس ويجب ان تكون لها مكانتها ورفعتها وقيمتها وكان من نتيجة هذا الشعور ان تضحية الاولاد الغيت والمرأة اصبحت ذات مكانة فلا ينظر اليها باحتقار كعبدة للرجل ونتج عن ذلك معنى جديد للحياة العائلية . اننا لا نشك ان امورًا اخرى عديدة قد اثرت على التقدم الاجتماعي الّا ان نتائج الشعور الديني لم تكن قليلة الشأن وعدا عن ذلك فان الدين قد كان له التأثير العظيم في ايقاظ الشعوب وتنبيهها الى الشرور والمظالم الناتجة عن تلك الامور وهذه حقيقة لا يمكن انكارها

اننا نرى هذه السجية والقوة الدينية في الدين واضحين في حياة يسوع . نراها في حياته وفي معاملته مع الناس وفي شخصيته وصفاته فقد اظهر ثباتًا في التجربة وصبرًا في المصاعب واحتمالاً في الاعتداء ولم يهن صبره في المكاره ولم

ينبس بكلمة سوء في الاهانة بل عرف كيف يستغل الارزاء للخير . جاءهُ المجرب مرة في بدء حياته وحاول بكل طريقة خداعة ان يغريه ليتبعهُ وكان يسوع جائعًا ولم يكن خبز في المكان فقال لهُ المجرب "ان كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة خبزًا" فاجاب يسوع وقال "ليس بالخبز وحده يحيا الانسان" ثم اخذه ابليس الى المدينة المقدسة واوقفهُ على جناح الهيكل وقال لهُ "ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل لانهُ مكتوب انهُ يوصي ملائكته بك فعلى اياديهم يحملونك" قال لهُ يسوع "لا تجرب الرب الهك" ثم اخذهُ ابليس للمرة الثالثة الى جبل عالٍ جدًا واراه جميع ممالك العالم وقال لهُ "اعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي" حينئذٍ قال لهُ يسوع برباطة جأش "اذهب يا شيطان لانهُ مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد" وهكذا فان يسوع في تجارب الجوع والشهرة والغنى وقف الوقفة الحقة وهذه هي تجارب العالم الثلاث العظمى الخبز والغنى والشهرة قد استأسرت الناس وملكت رقابهم

واصبحوا لها عبيدًا اما يسوع فقد تغلب عليها لان لهُ ايمانًا بالله فليس من الحق في شيء ان نقول ان حياة يسوع الدينية مجرد تخيلات لا لا بل هي قوة للحياة الحقة

وكان الناس في تلك الايام يخافون الشياطين وكل واحد منهم يخشاهم ويعتقد بهم فاذا مرض انسان يقولون بهِ شيطان واكثر ما كان خوفهم من الذين بهم اختلال عقلي فكانوا يقولون بهم شياطين فيخافونهم جدًا هذا كان اعتقاد اليهود اما يسوع فلم يخف ولم يعر هذه الخرافات اقل انتباه بل كان يقترب من المجانين يكلمهم ويشفيهم من امراضهم فليس من الحق ان نقول عن شخصِ هذهِ حياته انه كان جبانًا . ان يسوع لم يرهب اي شيء بل كان النور والظلمة والليل والنهار لديهِ سواء . والانسان الذي يعيش متحدًا بالله ويسير دائمًا معهُ لا يخشى شرًا

واننا لنرى هذه الطبيعة وهذا الجمال في تصرف يسوع مع الناس ولنا مثل في معاملته مع النساء والاولاد كان اليهود في تلك الايام يحتقرون النساء ولا يأبهون كثيرًا للاولاد

وكان من الضعة ان يعنى المعلمون الكبار بالنساء والاولاد اما يسوع فلم يهتم بذلك بل اعتبر المرأة مساوية للرجل ونظر الى الاولاد نظره الى الرجال

ان افلاطون ابا الفلسفة الذي اشتهر بسديد حكمته وقوة منطقه كانت تعاليمهُ مخطة بخصوص المرأة والاولاد وارسطو واضع علم الاخلاق لم يرَ محظورًا لدى غزو البلدان المجاورة من اتخاذ النساء والاولاد اسرى وشيشرون خطيب رومية العظيم كان يستحسن المصارعات التي كانت تجري بين العبيد والحيوانات المفترسة اذ تجوع تلك الحيوانات ويدفع اليها بالعبيد وكان يسر حينما يراها تمزق اولئك الارقاء الابرياء اربًا اربًا. ان شيشرون بكل حكمتهِ لم يرَ في ذلك امرًا ادًّا بل كان يرى لعمل ابناء عصره عذرًا مبررًا اما يسوع فانهُ لم يتكلم بكلام عقيم كهذا بل احترم المرأة ولما رأى الاولاد اخذهم بين ذراعيهِ وباركهم وكان ادنى الناس عنده محترمًا كالعظيم بينهم لان جميعهم في

نظره ابناء الله فليس من الحق ان ندعو تصرف يسوع صبيانيًا وجبانة بل هو انسانية وشهامة

ولننظر ايضًا في موقف يسوع نحو الشريعة اليهودية فقد كان لليهود شرائع وتقاليد يعتبرونها مقدسة ويجب على كل يهودي ان يتقيد بها حرفيًا وهي المكتوبة في سفر موسى فلا يمكن ان تتغير او تتحور وكان بعض المعلمين اليهود متطرفين الى درجة انهم اعتبروا الشريعة مساوية لله وانهُ لاثم عظيم ان يمسوا حرفًا منها . اما يسوع فقد نظر الى ابعد من ذلك فافاض في شرح الشريعة ومعانيها ولم يتورع عن انتقادها وقد كان ذلك حدثًا جديدًا لم يفكر بهِ احد من اليهود . فلو ان اعتقادات يسوع الدينية كانت مستمدة من المجتمع الذي وجد في وسطه لما امكنهُ ان ينتقدهُ ولكنهُ اوضح طريقًا جديدة واتى بتفاسير حديثة وكان مستعدًا للذود عنها ببذل حياته فمن المستحيل ان نعلل معتقدات يسوع بانها هي معتقدات المجتمع

ان مصدر معتقدات يسوع ليس من تعاليم موسى او من المجتمع اليهودي بل مصدرها الله

ان تأثير يسوع على المجتمع البشري يظهر هذا جلياً. قال لكي المؤرخ الايرلندي في كتاب تاريخ الاداب الاوربية "ان تاريخ الثلاث سنوات في حياة يسوع قد عملت لتجديد العالم اكثر من كل مباحثات الفلاسفة ونصائح الاخلاقيين ويعود الفضل في قوة تأثيره الى اتحاده بالله الذي ظهر في حياته الشخصية

ليس الدين فكرة متأخرة بل هو اساسي وطبيعي في الانسان وقد ولد معهُ والحياة الدينية لازمة لنضوجه الحقيقي. للانسان جسم وعليهِ ان يعنى بحاجاته لقيامه فاذا اهمله ناله الضر وهو ذو عقل وعليهِ ان يثقفهُ لينضج بالتمرين والتهذيب واذا اهملهُ آل عليهِ ذلك بالخسران وهو ذو نفس ولها حاجاتها فهي متعطشة الى الصلاح والجمال والحق والمحبة. ان نفوسنا تطلب الجميل والحق وتطلب الله الذي

هو مصدر الصلاح والجمال والحق وكما ينال الجسد قوته من الهواء والماء والطعام هكذا نفوسنا تتغذى وتتقوى بالالتصاق بكل ما هو صالح وجميل وحق وكما ان الجسد يتأذى اذا لم يحصل على الماء والهواء والطعام تتأذى النفس في اهمالها الصالح والجميل والحق

مكتبة الاخلاقيات الدينية

السلسلة الاولى

١ ما هو الدين
٢ اين هو ينبوع القوة في الدين
٣ اين هو السلطان العجيب
٤ ما هي علاقة الدين بالمسائل الاجتماعية
٥ ما هو الايمان بالله
٦ الحكم على الطبع والنفس
٧ ما هي الخطيئة

السلسلة الثانية

٨ الدين والصلاة
٩ الدين والسلام
١٠ من هو الله
١١ الدين والاداب
١٢ الدين والعقل
١٣ الدين والعلم
١٤ اصل الدين

ثمن كل كتاب على حدة غرشان سوريان او اربعون سنتيماً
وثمن السلسلة الواحدة اي الكتب السبعة مجموعة في مجلد واحد
١٣ غرشاً سورياً او فرنكان وستون سنتيماً

DATE DUE
JAFET LIB.
10 APR 1991
JAFET LIB.
MAY 1991
A.U.B. LIBRARY

A.U.B. LIBRARY

CA [redacted] 240:L72mbA:c.1
ليفونيان ،لطفى
اصل الدين
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000622

CA:AUB
240:L72mbA

ليفونيـان ·

اصـل الديـن ·

CA:[redacted]
240
L72 mbA